# د. حمزة البسيونى

**«فى الزنزانة حكيت لزميلى د. يوسف إدريس بعضا من ذكرياتى وعندما أفرج عنه كتب روايته "قصة حب" حول ما حكيته له وتحولت إلى فيلم "لا وقت للحب" وأصر يوسف إدريس على أن يكون اسم بطل الفيلم "حمزة" رغم معارضة بطل الفيلم رشدى أباظة والمخرج صلاح أبو سيف».**

**د. حمزة البسيونى**

فى القاهرة كان يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوما مجيدا، إذ خرجت الألوف تحت قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال لتهتف ضد الاحتلال، وفى الإسكندرية كان يوم ٤ مارس ١٩٤٦ مثيلا ليوم القاهرة، وكان رفاق «حدتو» هم قادة هذا اليوم.. ويحكى أحدهم، د. حمزة البسيونى، حكايتهم فى هذا اليوم وحكايته فى خضم هذا النضال.

* * *

أعتقد أننى محظوظ لأننى أتيحت لى فرصة النضال فى صفوف اليسار ومنذ بدايات حياتى فى قريتنا كانت المنصورة الأكثر قربا، وكثيرا ما ركبت ما كنا نسميه «قطر الدلتا» لأتوجه إلى المنصورة التى كانت منارة ثقافية ونضالية وكان طلبتها يلتهبون حماسا ووطنية. وفى الإسكندرية كنت ألتهب حماسا، مثلى مثل كل طلاب كلية الطب الذين برز منهم ومن كلية أخرى هى كلية العلوم قادة يساريون لعبوا دورا بارزا وسط الحركة الطلابية الثورية وفى صفوف النضال الحزبى. وعن بعض ما كان منذ عام ١٩٤٦ الذى أعتبره الميلاد الثورى لى، ولهذا الجيل من طلاب وعمال الإسكندرية، وسوف أحاول الاختصار الشديد والبعد عن التفاصيل وسأكتفى بعناوين فقط.

* ٤ مارس ١٩٤٦ وأربعة مترليوزات موجهة إلينا.. كنا قد اقتحمنا الكشك الأسمنتى للبوليس الحربى البريطانى فى محطة الرمل بالإسكندرية ونحن لا نعلم أن به أحدا، وتمكن

أربعة جنود بريطانيين من حصد ما تمكنوا منه من الذين دخلوا إلى الكشك، ونجوت بمعجزة، فقد وجهوا المترليوزات إلى الجماهير فى محطة الرمل وحصدت المئات من القتلى والجرحى وأصرت الجماهير وأحرقت الكشك وخرج الأربعة وقتلت الجماهير اثنين منهم.

* كان ذلك تلبية لنداء اللجنة الوطنية للطلبة والعمال للتظاهر احتفالا بشهداء ٢١ فبراير الذين سقطوا شهداء فى ميدان الإسماعيلية (التحرير الآن).

* ٥ مارس فى طلبة طب الإسكندرية أقف خطيبا لأول مرة وأتحدث عن المتظاهرين العزل من السلاح الذين قتلوا اثنين من الجنود البريطانيين، فما بالك لو كانت هذه الجماهير مسلحة؟ وصغت فى بساطة شعار «النضال المسلح ضد الاستعمار» وتم اختيارى مع زميل آخر لمقابلة مدير الجامعة.

**وكانت البداية**

* اختطفتنى الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى كونت مع ايسكرا الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى (حدتو).

* بقرار حزبى توجهنا ٣ طلبة: سعد فريد من كلية العلوم – ومجدى حبيب من كلية الحقوق – وأنا، إلى شركة الغزل الأهلية وقت دخول وخروج الوردية الصباحية وقدنا مظاهرة ضد الاستعمار وزعنا فيها منشورات تقول: «لن يسمح الطلبة والعمال للحكومة النقراشية الخائنة بأن تبيع مصر فى صورة معاهدة جديدة».

* قبض على ثلاثتنا وحكم على سعد فريد بالسجن ٦ شهور.

* مظاهرات احتجاج فى الجامعة تهتف «الشعب يريد سعد فريد»، وتم إلقاء القبض على وتقديمى للمحاكمة وحكم بـ ٦ شهور مع إيقاف التنفيذ.

* تم استئناف الحكم فى قضية شركة الغزل وحكم بالبراءة لسعد فريد.

* إضراب البوليس ومظاهرات تأييد للضباط والكونستبلات المضربين مصحوبة بهتافات.

* قمنا بتنظيم حملة لمكافحة الكوليرا، لجان لتنظيم التطعيم وتقديم مساعدات للنظافة.

* حرب فلسطين وفتح معتقلات ١٩٤٨ وكان معى فى معتقل أبى قير الزميل شحاتة عبدالحليم.

* المظاهرات ضد الملك والاستعمار.

* حصار كلية العلوم ومقتل أحد ضباط البوليس.
* إغلاق الجامعة وفصل عدد كبير من الطلبة.
* كنت ولطفى الصاوى من كلية الطب من بين المفصولين.
* بدأت الجامعة فى فتح أبوابها وبدأت بكليتى الطب والآداب.
* انتظمت كلية الآداب وأضربت كلية الطب وانضمت كلية الآداب للإضراب.
* تم إلغاء قرار الفصل وانتظمت الدراسة.
* ازدهرت حركة السلام بالإسكندرية وقد كنت مسئولا عنها وكان لنا مقر بشارع سعد زغلول.
* جمعنا توقيعات على نداء استكهولم ضد استخدام القنبلة الذرية.
* فى عيد الفطر قمنا بمظاهرة عجيبة، فقد التقينا مع العائلات فى حديقة النزهة وأحاطنا البوليس من المشاة والخيالة وسرنا معهم إلى قسم الحضرة ونحن نردد الهتافات بشعارات السلام فى وسط المئات من جماهير العيد فى حديقة النزهة، وأمام النيابة قمنا بإعطائها درسا عن حركة السلام وكانت اللجنة التحضيرية قد أذاعت بيانا، وكان سكرتيرها يوسف حلمى المحامى، وكامل البندارى باشا وحفنى محمود باشا من الموقعين على البيان، وقد أفرج عنا فى نفس اليوم.
* مظاهرات إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ولافتات عديدة لحركة السلام.
* حريق القاهرة ومعتقلات يناير ١٩٥٢ كنا فى معتقل النزهة وقررنا التمرد واستولينا على المعتقل من الداخل وألقينا القبض على مأمور المعتقل وضابط البوليس السياسى سيد فهمى (الذى أصبح وزيرا للداخلية فيما بعد) وقد تم عزله بعد أحداث ١٧ و١٨ يناير وكان على رأس قوة التمرد الزميل شحاتة عبدالحليم.
* وبقوة بوليسية رهيبة تم نقل جميع المعتقلين إلى معتقل هايكستب ونقلت مع زميلى المرحوم سمير غبريال إلى سجن الأجانب لتأدية امتحاناتنا بكلية الطب.
* ثورة ٢٣ يوليو والإفراج عن جميع المعتقلين ما عدا ١٤ معتقلا كنت أنا واحداً منهم وتم ترحيلنا إلى معتقل الطور، وفى الطريق قابلت مجموعة من ضباط الجيش، فيما أتذكر كان فيهم ثروت عكاشة، وكانوا قد اعتقلوا مجموعات من الطلبة وأودعوهم فى معتقل عسكرى وأجريت مناقشة معهم قالوا فيها إن البوليس السياسى أخبرنا بأن القبض على

مجموعة معينة من الطلبة سيوقف المظاهرات. ورحلت إلى المعتقل العسكرى بدلا من معتقل الطور، وكان محمد نجيب يتحدث فى ذلك الوقت عن أبنائه الطلبة والذى يرعاهم فى المعتقل وأفرج عنا جميعا فى أوائل عام ١٩٥٣.

* تخرجت طبيبا فى دفعة يوليو ١٩٥٣ - اعتقلنا ١٩٥٤ فى معتقل أبو زعبل، نودى على اسمى واسم يوسف إدريس فى دفعة إفراج، ولكننا فوجئنا بترحيلنا معًا إلى سجن مصر، حلقت رؤوسنا ووضعنا فى عنبر من ٤ أدوار كله من الإخوان المسلمين أضربنا عن الطعام وألقى بنا فى زنازين التأديب حيث ضرب يوسف إدريس بعنف بعد أن قيدت قدماه فى الفلقة.

* وجدنا نفسينا معزولين تماما عن العالم وتم فك الإضراب ورجعنا إلى العنبر.

* تم الإفراج عن يوسف إدريس مع دفعة من الفنانين والأدباء منهم إبراهيم عبدالحليم وفتحى خليل وزهدى على أساس أنهم سيتوجهون إلى السودان للتفاهم مع الحزب الشيوعى السودانى، ولم يتم ذلك.

* كنت أحكى ليوسف إدريس بعضاً من ذكرياتى، وقد كتب بعد خروجه روايته «قصة حب» وكان بطلها يدعى حمزة وقد أخرجها المخرج صلاح أبو سيف فيلما بعنوان «لا وقت للحب» كان بطلاها فاتن حمامة ورشدى أباظة الذى رفض لفترة أن يكون اسم الفتى الأول «حمزة».

* * *

**«وفى الواحات كان اللواء إسماعيل همت يقود حملة تعذيب وحشى لا مثيل لها، العصى والشوم تنهال على الجميع، انطلقت من بين صفوف العساكر وصرخت فى وجه اللواء المتعجرف مطالباً بإيقاف المجزرة، والغريب أنه خاف وأشار للجنود بالتوقف عن التعذيب، صرخت فى وجهه: أنا كطبيب أطالبك بإيقاف المجزرة.. وخاف».**

**حمزة البسيونى**

وتمضى بى الأيام بعضها خارج السجن وأغلبها داخل الزنازين من سجن لسجن تنقلت وأمضيت أغلب هذه السنوات.. حتى كان عام ١٩٥٧.

* حيث كانت أول انتخابات لمجلس الأمة تجرى فى عهد الثورة، كنت أحد ٤ رفاق

خاضوا الانتخابات ورفعوا رايات حمراء على الدقهلية وكانوا جميعاً مكتسحين فى دوائرهم، وصدر قرار بحرمان من سبق اعتقالهم من الترشيح، وكان قد قيد فى قريتى «نوسا الغيط» من السيدات أكثر مما قيد فى مدينة الإسكندرية بأكملها.

* رجعت إلى الإسكندرية حيث تجرى انتخابات دائرة الرمل وكان مرشحاً بها محمد كامل البندارى باشا الذى لقب بـ«الباشا الأحمر»، وكانت عيادتى بباكوس هى مركز قيادة المعركة.

* وصدر قرار بقفل بعض الدوائر على المعينين بالمجلس وكان من بينها دائرة الرمل.

* ٥ سنوات فى معتقل الواحات.. إسماعيل همت قائد حملات التعذيب ومعه فرقته يجتاحون المعتقل.

* تحت ضربات العصى الغليظة يجرد المعتقلون من ملابسهم وتحلق رؤوسهم ثم وهم عراة وحفاة يساقون ويلبسون ملابس السجن البيضاء.

* انشغلت قليلا بعمل جبيرة للزميل فخرى لبيب على ذراعه المكسورة.

* وأفقت لأجد ضربات العصى الغليظة تنهال على الجميع حيث يساقون إلى عرض الصحراء بهدف تشغيلهم فى زراعتها.

* وحيداً توجهت إلى اللواء المتعجرف إسماعيل همت وهو منتصب القائمة يشرف على المأساة وقلت له بصوت عال جداً إن ما يحدث ليس استصلاحاً للأراضى ولكنه من أعمال السخرة البربرية، وقال: إن هذه طريقتى فى تنفيذ الأمور وأنا لما أدخل بيتى أولادى يقفون صفاً بجانب الحائط فلن أغير طريقتى. قلت وأنا كطبيب أدافع عن إنسانية الناس وأحميهم أطلب منك فوراً إيقاف هذه المجزرة الوحشية.

* والمثير للدهشة أنه تراجع وخاف، وبإشارة من يده تهدأ الأيدى والعصى وتجمع المعتقلون حوله، إسماعيل صبرى عبد الله ومحمد سيد أحمد ونبيل الهلالى وينتهى اليوم فى أمان. ثم نعمل بإرادتنا ونستصلح ونزرع ونأكل من ثمار زراعتنا. وكان هذا درساً لى وللجميع عندما تواجه الخصم بشجاعة سوف يخاف منك.

* ويحدث أنه ذات ليلة وفى منتصف الليل استدعيت أنا وصلاح حافظ إلى منزل مدير السجن فريد شنيشن، حيث كان يرقد طفلاه، ٤ سنوات و٧ سنوات، فى حالة خطيرة بعد أن بلعا أقراص الضغط التى كانت بحوزته، وأنقذنا الطفلين وتبدل الحال وتحول فريد شنيشن إلى إنسان يعرف كيف يمارس الإنسانية.

* تقدمت أنا والدكتور لطفى الصاوى بطلب للتطوع فى حرب الجزائر، وقد تمت جميع الإجراءات، وحدد لنا مكان لعيادة إسعاف طبية على الحدود ما بين الجزائر وتونس وفى آخر لحظة اعترضت المباحث العامة على سفرنا، ولم تمض أيام حتى علمنا أن الطائرات الفرنسية اجتاحت هذا الموقع وسوته بالأرض.

* فى كل هذا المشوار الطويل صادفت محاولات مباشرة للاعتداء علىّ.

* مدرج كلية الطب وأنا أتحدث فى خطبتى عن نضال الشعب الفيتنامى يخرج طالب بالكلية ذو لحية طويلة محاولاً طعنى بخنجر ويمسك مأمون البسيونى بيده وينغرس الخنجر فى البنش.

* فى عام ١٩٦٤ كانت هناك حركة فى نقابة أطباء الإسكندرية والنقابات العمالية من أجل تطبيق التأمين الصحى بالتعاون مع المحافظ حمدى عاشور، الذى كان لى والزميل شحاتة عبد الحليم معه علاقة سياسية خاصة، وبمشاركة د. مدحت القرشى و د. على عبد العال ود. سمير غبريال ود. فؤاد منير فى تقديم دراسة لتطبيق المشروع، وأصدرنا به كتيبا ولكنه صودر فى المطبعة وكون لنا المحافظ لجنة من قيادات وزارة الصحة لدراسة مشروعنا والاستفادة منه.

* وفى أكتوبر ١٩٦٤ صدر قانون التأمين الصحى على أن يبدأ التطبيق فى مدينة الإسكندرية. ثم كانت جمعية أطباء مصر بالإسكندرية التى حجمت دور الإخوان فى مجال الأطباء و نتزعت منهم نادى الأطباء الذى كان مركزاً لقيادة أعمالهم السياسية. وتضم فى قياداتها: د. حسن عبد الفتاح - د. محمد الحبشى - د. مأمون البسيونى - د. كميل صديق - د. عادل عيسى - د. عيسى جرجس - ونصدر مجلة «ابن سينا» وهى مدفعية ثقيلة فى معركة الأطباء.

* انتخبت رئيساً لجمعية الممارس العام ولم أزل رئيساً لها حتى الآن، ولم تزل هذه الجمعية تعمل فى تجميع الأطباء وتمارس دورها فى فضح ممارسات الإخوان وتقدم محاضرات علمية فى التأمين الصحى - ثم أسسنا «جماعة أطباء مصر» وأصبحت عضوا فى قيادتها، ويمضى حمزة البسيونى قائلاً: «هذا بعض مما قدمت. وقد اكتفيت ببعض من النضالات الجماهيرية لأنها الانعكاس الحقيقى للروح النضالية، أما النضالات الحزبية فهى كثيرة جداً. ولعل أهمها بالنسبة لى هو حضورى أول اجتماع تأسيسى لحزب التجمع فى الإسكندرية، ومنذ اليوم الأول فى حزب التجمع وحتى اليوم الأخير فى حياتى سأبقى مخلصاً لوطنى وشعبى وحزبى».

شكراً د. حمزة.